



تظلم الدنيا بأسرها، وتغلق الطرق بسوار مكلوم، وتناثر قطرات الألم في الزوايا والحنايا والربوع، والصرخة المكتومة
تنسرب بين الضلوع، إنه لا ثم رجاء في الأشياء من حولنا!!!
الأمل كلمة تحتاج إلى دعم واقعي حتى تتحقق، لقد عاشت بين فراغات سطور الروايات وحروف أبيات الشعراء الحالين،
إنهم رددوها كثيرا حتى صارت لا تعني شيئا إلا الخيال صعب التحقق!

كلهم يتحدثون عن أمل في غد غير مقدر عليه من أحد، وعن تحد لا يملك أحد مقدراته، بل إنهم يتكلمون عن عمر لا يستطيع
أحدهم ضمان استمراره ولو لدقائق معدودة!
كلنا يعمره الضعف، كلنا يحتوي الوهن، كلنا يقعده الفيروس غير المرئي والبكتيريا المندسة والميكروبات الحقيرة!
أي قوة إذن نمتلكها؟ وأي قدرة نعول عليها في آمالنا المزعومة؟ وأي ضمان نستطيع أن نعطيه حتى لأنفسنا حتى نحدثها
عن غد مرجو؟!

إن الأشياء من حولنا أقوى منا بالفعل، أقوى بمراحل كبيرة، الجماد أقوى، الزمن أقوى، الهم أقوى، المرض أقوى، كل ما
يحيط بنا يكاد أن يكون أقوى منا، يالضعف البالغ الذي نعانيه في كل لحظة..!
حتى نفوسنا التي بين جنباتنا تتقوى علينا بهوها ورغباتها وشهواتها، حتى نفوسنا تكسرنا فنستنزل لها فنجد ذواتنا منهارة
أمامها ترتكب القبائح التي ربما ترفضها، وتتسكت عن الرذائل التي تعلن أنها تستنكرها، حتى نفوسنا صارت من أعدائنا،
فأي حياة يعيشها المرء إذن إذا كان ضعيفا أمام نفسه؟!

أما القلوب، فأمرها أشد وأخطر، ففراغاتها مليئة بمحبة الأشياء الراحلة عادة، وداخلها تعلق بالظواهر دون الحقائق، فترى كثيرا من القلوب سهلة التقلب، سريعة التأثر بالانحراف، مستعدة لشرب الخطأ..!
حتى من نحب، ما نلبي أن نفارقهم، أو نختلف معهم، أو نقف عاجزين أمام آلامهم أو محنهم، ويلفنا الصمت المطبق أمام صرخاتهم الجريحة.. يالها من خيبة عميقة!

إنها حياة بئسها تلك التي نعدها كامل نرجيه، وضعف مطيق يلفنا لا يكاد يصلح أن نرجي معه إنجاز شيء نفخر به!
إنها الآية الربانية الإيمانية العظمى تنادينا بكل معنى من معاني الحياة، إن الرجاء كله يجب أن يكون مع الله، والأمل كله يجب أن يكون في الله ..
إنها آية لا تبين إلا لمن وثق في الله لا غيره، وأيقن أنه لا حل إلا للجوء إليه سبحانه، متجردا من أثر الأشياء، وذاهلا عن أثر الأسباب من حوله، فهو عندئذ مستعد لتنقى معاني الانتصار.
فالغد يشرق توكلًا على قادر على إشراقه، فشمسه تجري بأمره، ونوره يسطع بحوله وقدرته، وما دون ذلك فظلام دامس وعمى محيط..
والمرض يتضاغر أمام قدرته العظمى سبحانه، فالطلب والدواء يعجز، والقدرة الأسمى تقدر الخير للمريض، فتجد اختيار الأفضل له على كل حال.
والأشياء والجمادات والجبال والأحجار والبحار تسخر لنا من حولنا إن نحن سرنا في منظومة ما يحبه الله ويرضاه، فهو القوى المتعال، فالجبال تسبح، والبحار تخضع، والجمادات تهتز وتتهاافت..

الظالمون ينكسرون في طرفة عين بقدرة القوي الأعلى، والمتجردون يصيرون نسيًا منسيا، كيف لا والصخور تصير هباء منتشرًا بأمره سبحانه!
أعمارنا والزمان من حولنا يعني معان جديدة بع보다يتنا لله سبحانه، فالعمر تحتويه البركة التي تعظم لحظاته، وتعينه على الإنجاز والعمل المتقن، والزمان يصبح له معنى آخر، فكل لحظة لها قيمة، إذ إنها تحسب في ميزان الصالحات، فكل لحظة بمنزلة عليا وعمل صالح وقرب واقتراب.
إنه أمل حقيقي إذن، ليس كذلك المتشوّه في كلام الشعراً بعيداً عن الله سبحانه، ورجاء فعلي موثوق، ليس كما يسطره الضعفاء متعلقيين بزخرف زائل، إنه الرجاء في القادر العظيم، والعزيز الحكيم، رب العالمين.
إن الحقيقة العظمى التي يجب أن تدور حولها حياتنا هي حقيقة أن لا حول ولا قوة إلا بالله، فحولنا واهن وقوتنا راحلة، وأجسادنا فانية، وميراثنا منقول، والأمر كله في النهاية لله سبحانه، فالفناء ينتظرنا، والموت هو المثلوي المنتظر لكل متشوّه للقوة أو الجبروت، والجميع زائل إلى يوم يقول فيه الجبار: {لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْفَهَارِ} [غافر: من الآية 16].
دعني إذن أعيد صياغة العبارات، فالدنيا سوداء مظلمة إلا بنور الهدى الإيمانية، والطرق مسدودة إلا الطريق إلى الإيمان بالله سبحانه، والهموم تعتري الجميع، إلا الملتزمين إلى الرحمن الرحيم، المتوكلين عليه، الآملين في رحمته، الراجين نصرته وتوفيقه وفضله، وهو ذو الفضل العظيم.

المصادر: